الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاخبار
التاريخ: ١٩٧٥/٥/١٤

٣ أيام هزت العالم!

السادات يروى.. أحداث ثورة ١٥ مايو

كيف تم العبور من الارهاب الى الحرية؟

في حياة جميع الشعوب لحظات حاسمة .. تتحدد خلالها معالم مرحلة جديدة .. وتنفتح أمامها أروع الآفاق .

ولا شك أن أيام : ١٣ ، ١٤ ، و ١٥ مايو ١٩٧١ ، نموذج حى لهذه الحقيقة، باعتبارها الايام الفاصلة بين اسلوبين ،ومنهجين فى الفكر والتطبيق .. اسلوب منهج ديمقراطى ، يثق فى الشعب .ويؤمن بحقه فى أن يحكم نفسه ، بنفسه ، ولنفسه ، بلا وصاية او ارهاب .. واسلوب يرفض هذه القيم ، ويصر ولنفسه وصاية بوليسية على الشعب ،باسم حمايته من أعدائه .. وباسم الدفاع عن الاشتراكية ! .. مع ان أول مبادىء الاشتراكية تنص على سيادة الشعب على كل شىء .. وامتلاكه لثرواته .. وبالضرورة امتلاكه لارادته الحرة .. بالديمقراطية ..

فكيف انطلقت وتلاحقت الاحداث خلال تلك الايام ، وانتهت بالعبور الاول للشعب من الارهاب ، الى الحرية .. والذى اعقبه عبور قواتنا المسلحة لقناة السويس ، وتحطيم خط بارليف ؟

ان البيان التاريخى الذى وجهه السادات الى الامة فى ١٤ مايو ، يروى معالم هذه الاحداث .. ومرور اربع سنوات على هذا البيان ، تستحق اعادة نشر خطوطه الاساسية .. وتأمل معالم الاحداث التى شكلت احدى الملاحم المثيرة فى تاريخ مصر ..

بداية الصدام الحاسم !

من الطبيعى ان تكون الخلافات بين السادات وبين مراكز القوى قديمة وعميقة .. لانها تنبع من نظريتين متناقضتين لاحدى القضايا الجوهرية فى التاريخ الانسانى : قضية الحرية .

لكن الاعداد المنظم لمعركة التحرير ، وتهيئة الظروف التى قادت بعد ذلك الى انتصارات أكتوبر ، كان السبب المباشر للصدام الحاسم مع القوى المعادية للتحول الديمقراطى .

ويعبر الرئيس السادات عن هذه الحقيقة بقوله : المسألة بدأت بعدعودتى من بنى غازى .. بعد الاتفاق على قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة .. (ابريل ١٩٧١) ..

لكن السيد على صبرى عارض قيام هذا الاتحاد .. قلت له ده رايك .. ولكن انا بانطلق فى كل تحركى من منطلق واحد .. المعركة .. وكل ما تحتمه المعركة لا اتردد فيه مطلقا .

من هنا بدأت المرحلة الحاسمة فى الصراع ضد مراكز القوى .

السادات ينظر الى الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا باعتباره ضرورة تفرضها المعركة .. المعركة التى قرر منذ توليه مسئولية القيادة ، أن يعد لها ، ويمهد كل الظروف اللازمة للانتصار فيها .

ودروس التاريخ العربى - كما اوضح السادات فى بيانه - حافلة بالحقائق الساطعة . فالوحدة بين مصر وسوريا بالذات هى الركيزة الاساسية لتضامن العالم العربى .. ولتحقيق النصر .. هكذا تقول ملحمة الصراع ضد الغزاة الذين اجتاحت جيوشهم منطقتنا .. من التتار .. والصليبيين .. الى الاستعمار والصهيونية .

وهنا يقول السادات : انا شرحت الاتفاقية .. وقلت انا باعتقد انها جزء لا يتجزأ من كياننا ومصيرنا .. ومصير اجيالنا .. لانه عبر التاريخ .. منطقتنا تعرضت لغزوات عبر التاريخ .. على مدى الزمن .. بأخذ مثالين اثنين بعيدين .. ومثل ثالث نعيش فيه الآن .. المثالين البعيدين ، هما التتار ثم الصليبيين .. عندما اجتاحت قوافل التتار جحافلهم وسط اسيا .. وأحرقوا بغداد .. ووصلوا لغاية سوريا .. ماامكنش تخليص المنطقة من هذه الغزوة ، الا باتحاد مصر وسوريا .. ده عبر التاريخ .. الغزوة الثانية التى تعرضت لها منطقتنا .. وكانت تحمل اسم الصليب حجة ، وهى غزوة استعمارية لاحتلال المنطقة .. حدث نفس الشىء .. كتب التاريخ تقول انه لولا اتحاد سوريا ومصر تحت قيادة صلاح الدين ، لما امكن تخليص المنطقة من الغزوة الصليبية ..

فرض الوصاية

بهذه النظرة عرض السادات مفهومه عن أهمية الوحدة العربية ·· ومشروع قيام اتحاد الجمهوريات العربية ·· قبل أكثر من عامين من حرب أكتوبر. وكان بصره قد امتد الى ما حدث بعد ذلك ·· عندما أدى التحام قوى المواجهة ـ مصر وسوريا بصفة خاصة ـ الى تسجيل نصر عربى هز العالم بأسره ·

هل معنى هذا أن الخلاف حول هذا الاتفاق هو سبب الصدام الحاسم مع مراكز القوى ؟

هنا يجيب السادات بوضوح **فوجئت بشىء جديد ·· أنا زى ماقلت احنا بنختلف ·· ويمكن لاثنين فى البيت الواحد يختلفو ·· كل واحد له رأى ·· الاختلاف مش عيب ··** والاختلاف من أجل المصلحة العامة مطلوب ·· انما لاول مرة لقيت صراع غريب ·· المسألة لم تكن مناقشة موضوعية فى الموضوع ·· لا ·· عملية واضح فيها الصراع ·· الصراع بكل الطرق ، وبكل الاساليب ·· وعن طريق التجريح ·· وده مسجل ·· لان الميكروفونات كانت فوق الترابيزة ·· وليست تحت الترابيزة ، ومتسجلة الجلسة !

فكيف وضح هذا الصراع ·· وانكشفت لعبة المناورات للسيطرة على السلطة ؟

لقد طرح الرئيس السادات بمنهجه الديمقراطى الخلاف على اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ·· وفوجىء بأساليب غريبة ·· قوامها التجريح والاستفزاز ·· وعبثا حاول السادات ايقاظ الضمير الوطنى عندهم ·· بلا جدوى ·· لقد قال بالحرف الواحد: **انا باعتبر هذا الاتفاق من أجل المعركة ·· منطلقه هو المعركة ·· كل شىء يجب أن يخدم المعركة ·· بدون ادنى تردد لازم ابذل دمى من اجلها ·· لان اولادنا سوف يبذلون دمهم فى هذه المعركة ··**

لكن هذا المنطق لم يفلح فى هدفه ·· وبعد ساعات طويلة من المناقشات العقيمة والاستفزازية ·· انتهى الامر بنتيجة غريبة ·· **خمسة من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا وقفوا ضد اتفاق الوحدة من أجل المعركة ، واثنان الى جانب الرئيس السادات ·· أى ان نتيجة التصويت كانت ٥ الى ٣ ·· لقد وضح التكتل الخفى ضد رئيس الجمهورية ·· لفرض الوصاية عليه ·· وعرقلة جهوده فى الاعداد للمعركة ··** وضمان سيطرة هذا التكتل الذى عرف فيما بعد باسم مراكز القوى ، على مقدرات الشعب بأسره !

((هيصة))

ورغم وضوح الطابع الاستفزازى وغير المشروع للقوى المعرقلة للمعركة والمعادية للديمقراطية ، فان منهج الرئيس السادات فرض عليه مواصلة الحوار الديمقراطى الى آخر المدى ·· فقال : « **مادمنا حددنا الامر بهذا الشكل ·· نستمر فى أسلوبنا الديمقراطى ·· لقد اختلفنا ·· : الخطوة الثانية نعرض الاتفاقية على اللجنة المركزية ·· قالوا : لا داعى لعرض الخلاف على اللجنة المركزية ·· قلت لهم : احنا ناقشنا الامر كفاية .** لكن أسلوب المناقشة ذاته يؤسفنى. **ان مستواه غير مستوى المسئولية للكراسى الى احنا قاعدين عليها ·· احنا نروح اللجنة المركزية أحسن ونمشى فى أساليبنا الديمقراطية ·**

وانعقدت اللجنة المركزية ·· وكانت النتيجة أسوأ من اللجنة التنفيذية العليا ·· فالتخطيط الاستفزازى

لاحراج الرئيس . ومحاولة ارغامه على الخضوع لارادتهم .. اتخذ أقبح مظاهرة .. أربع ساعات ضاعت هباء .. هجوم غير موضوعى على الاتفاق .. وضياع كامل لصوت السادات فى غمار تشويش صاخب مرسوم !

ويصف السادات هذه اللحظات بقوله : التجريح .. والمناورات السياسية .. ونسيان المسئولية الوطنية .. والدخول فى عمليات الصراع ..

ويلخص الصورة بقوله : بصيت لقيت « هيصة » فى اللجنة المركزية .

العودة الى الشعب

ومن الطبيعى أن يتجه تفكير السادات الى الشعب .. صاحب السلطة والقرار النهائى .. يعرض عليه الامر وأن يقول ما يفكر فيه للقوى المناهضة .. فقد حدث شىء أغرب من الخيال .. نفس اللجنة المركزية التى سجلت اسوأ مظاهر الصراع اللا مبدئى ضد السادات .. ومن أجل السلطة ..

هى نفسها اللجنة المركزية التى أقرت مشروع الاتفاق .. وبالاجماع .. بمجرد اعلان السادات عن عزمه أن يلجأ الى الشعب .. ويطرح عليه قضية اعاده انتخاب الاتحاد الاشتراكى .. فكيف نفسر هذا الانقلاب المدهل فى موقف أعضاء اللجنة التنفيذية العليا . وأعضاء اللجنة المركزية ؟ ..

يجيب السادات على ذلك بقوله :

الخلاف زى ما قلت لكم امر مشروع مادمنا بنتنافس منافسة حرة .. ومن هنا قلت : الطريق الوحيد انى اصحح هذا بواسطة الشعب .. لابد من اعادة انتخاب الاتحاد الاشتراكى من اول القريه من تحت .. لغايه اللجنة التنفيذية العليا فوق .. وبصراحة مش بالاسلوب اللى تم الدور اللى فات .. لا .. وانتوا فاهمين .. لا .. اريد انتخابات حرة .. ساكون بنفسى الرقيب على حريه هذه الانتخابات .. ولن أرحم من يزور فيها أبدا ..

وكان حديث السادات أشبه بقنبلة هزت الارض تحت أقدام مراكز القوى .. انتخابات حرة .. بلا تزوير .. يشرف عليها بنفسه ومن القاعدة الى القمة .. انها بداية النهاية اذن لسلطانهم .. وبداية النهاية لاسلوب فرضته فى مرحلة سطوتها على مقدرات ثورة ٢٣ يوليو .. لا تستطيع ان تعيش بغيره !

بداية النهاية

وكان الانقلاب المفاجىء فى اتجاه تفكيرها وسلوكها .. الموافقة الاجماعية .. الاستعداد للاعتذار عما حدث .. عمل أى شىء فى مقابل الشىء الوحيد المهدد لسطوتها : ان يدخل الشعب طرفا فى الخلاف .. وأن تكون هناك انتخابات حرة .. بلا تزوير .. ومن القاعدة الى القمة .. وتلك مسألة حياة أو موت .. تهون معها كل التنازلات ..

ويستطرد السادات فى عرض أحداث هذه الفترة فيقول : قلت لشعراوى جمعة ، جهز نفسك على هذا كله .. شوف ايه المواعيد علشان نعمل هذه الانتخابات .. ونصحح اوضاعنا .. ونصحح قانون الاتحاد الاشتراكى .. ولا نلجأ للاساليب ولا المناورات .. ونقضى نهائيا على كل ما هو انتهازى .. وكل ما هو وصولى ، وكل اسلوب غير شريف فى العمل السياسى ..

وشعرت مراكز القوى بخطورة اتجاه السادات .. فكان لابد أن تتحرك .. وبسرعة .. للتخلص من المأزق .. مأزق انتخابات حرة .. بلا تزوير .. وبلا انتهازية .. وبلا وصولية .. وكانت حركتها هى بداية النهاية ..

وجاءت اللحظات الحاسمة ..

فى مساء الاربعاء ١٢ مايو ١٩٧١ ، فوجىء السادات بشىء غريب : شاب صغير جاء الى بيت الرئيس يطلب مقابلته .. وقدم للرئيس الشرائط المذهلة !

وبعد أن سمع السادات ما جاء بالاشرطة ... تكشفت كل حقائق الموقف .. الموضوع شديد الخطورة بالفعل .. لانه يتجاوز الخلاف المشروع بين الآراء .. ويقفز الى حافة الخيانة

الشريط الاول يحكى تفاصيل ما دار فى اللجنة المركزية .. بالحرف الواحد .. تفاصيل كاملة ..

والامر الاشد غرابة ، أن كل ما دار فى اللجنة التنفيذية العليا ، تم ابلاغه لاعوانهم فى كل أنحاء البلاد

وكان الشريط الثانى أكثر غرابة .. أصوات واضحة لاعوان مراكز القوى .. تتحدث عن تفاصيل المؤامرة .. كل شىء تم اعداده بدقة .. اذا فكر الرئيس فى عرض الموضوع على الشعب عن طريق الاذاعة .. فالاذاعة محاصرة ..

اللقاء الحاسم

هنا استدعى السادات سامى شرف .. حكى له كل شىء .. وقال له : **يؤسفنى ان يحدث هذا .. اليوم انا واثق وعندى الادلة الكافية .. تروح تبلغ شعراوى جمعة اننى قبلت استقالته .. وقلت له غرفة التسجيلات بالوزارة ضع يدك عليها فورا .. لاننى كلمت وزير العدل وقلت له ابعت اثنين وكلاء من وكلاء النيابة لاستلام هذه الغرفة من وزارة الداخلية .. وتكون تحت تصرف النيابة ..**

لقد قرر السادات أن يفجر ثورة التصحيح بلا تردد .. واستخدم تعبير « تصحيح » أكثر من مرة فى أحاديثه مع سامى شرف وشعراوى جمعة .. وقراره باجراء انتخابات حرة بلا تزوير .. وقراره بوضع غرفة التسجيلات تحت اشراف وزارة العدل .. وقراره بوقف تسجيل أنفاس المواطنين بدون اذن من القاضى .. كل هذه القرارات اتخذها السادات خلال هذه الايام .. وقبل الاطاحة الكاملة بمراكز القوى .. وتحرك هذه المراكز السريع .. كان يستهدف الخلاص من السادات .. ومن اتجاهاته الديمقراطية ، قبل فوات الاوان ..

حقائق أغرب من الخيال

ان قرار السادات باعدام اشرطة التسجيل المتعلقة بالتجسس على المواطنين . لم يكن مجرد اجراء صورى فى اتجاه التصحيح الديمقراطى لمسار ثورة ٢٣ يوليو ، انما كان ايضا نتيجة لاكتشاف حقائق اغرب من الخيال ..

لقد عرف السادات أن مراكز القوى لا تكتفى بالتجسس على المواطنين فحسب .. انما على رئيس الجمهورية ايضا ! .. ويعبر السادات عن ذلك بقوله : **ويؤسفنى ان اقرر انه اتضح ان اودة مكتبى فى بيتى ، فى بيت رئيس الجمهورية ، فيها جهاز تسجيل !! ..**

ولم تكن هناك جهة واحدة لهذه العمليات .. انما جهات عديدة .. فى الداخلية .. وفى مصلحة التليفونات .. وفى مكتب سامى شرف ..

ويقول السادات : **قلت لسامى شرف انا علمت ان عندك جهاز رقابة .. عايز الجهاز ده يوقف فورا .. من النهاردة .. لقد اعطيت تعليماتى الى وزير الداخلية الجديد .. لا يراقب احد الا بامر القاضى .. او النشاط الاجنبى المضر بالبلد .. اما فى الداخل .. فلابد امر من القاضى .. وساشرف بنفسى شخصيا عليه .. والاشرطه القديمة لازم تعدم رسميا .. ولازم الكلام ده يقف .. والناس تعيش مطمئنة ..**

وخرج سامى شرف .. خرج مدركا بالابعاد الكاملة لثورة التصحيح التى أصر السادات على القيام بها .. انتخابات حرة .. وقف التجسس على المواطنين .. احراق الاشرطة القديمة .. تحرير الانسان المصرى من الخوف .

خرج ليقوم مع شركائه بآخر محاولة لوقف التيار الديمقراطى .. ليحول

دون نهاية سلطان الخوف .. هذا السلطان الذى عاش فى ظله أشبه بملك مطلق السلطات ..

خرج ليدبر لعبة الاستقالات الجماعية متوهما حدوث انهيار ..

ويصف السادات اللحظات الحاسمة بقوله : قعدت .. الساعة بعشرة الكلام ده .. تمانيه فاتت .. تسعه فاتت .. عشره فاتت .. حداشر الا دقيقين جايني جواب برسول سنابل استقالات : سامى شرف .. محمد فوزى حلمى لسميه وزير الكهربه .. سعد زايد وزير الاسكان .. محمد فائق وزير الاعلام .. فان لسا فيه اسقالات جايه فى الطريق ..

ولم يتردد السادات فى قبول استقالتهم .. وكانوا حتى هذه اللحظة ، يملكون اذاعة ما يريدون .. وفعلا اذاعوا خبر استقالتهم .. وتصوروا ان هذه الاستقالات ستحدث انهيار ..

ولم يعرفوا انهم بذلك اسدلوا الستار على فصل مخيف من تاريخ مصر .. وأتاحوا للسادات أن يصحح مسار ثورة ٢٣ يوليو الخالدة .. لتنطلق محققة اهدافها ..

لقد صنع السادات احداث يومى ١٣ ، ١٤ مايو .. واثقا من مساندة الشعب .. لكن يوم ١٥ مايو صنعته الجماهير .. عندما خرجت جموعها تؤيد بطل ثورة التصحيح .. وتشارك بارادتها الحرة فى اكتمال معالم هذه الملحمة الكبرى .